نبوءة شاعر

عن اللغة القومية في طاجيكستان

بقلم / د. محمد السعيد جمال الدين*

في سنة ١٩٦٧م، حين كانت جمهورية طاجيكستان واحدة من الجمهوريات السوفيتية، دعا السكرتير العام لاتحاد الكتاب الطاجيك إلى عقد ندوة في العاصمة «دوشنبه»، حضرتها وفود من كل من إيران وأفغانستان وباكستان والهند وطاجيكستان. وكان موضوع الندوة: الشعر الفارسي المعاصر في الدول المذكورة: الحاضر والمستقبل.

وحين عاد الوفد الإيراني - الذي شارك في تلك الندوة برئاسة الأديب والناقد المعروف المرحوم الاستاذ برويز ناتل خانلري - نشر تقريراً مفصلاً عن كل ما لفت انتباههم هناك[١].

وكان أهم ما سجلوه في التقرير أن اللغة الفارسية - وهي اللغة القومية للطاجيك - ما زالت حية قوية، برغم ما مُني به ذلك الشعب من سيطرة متواصلة للغرباء، منذ القرن الثالث عشر الميلادي إلى الآن. ابتداء من المغول ثم الأزبك ثم الروس. غير أن الشعب الطاجيكي، ظل محافظاً على لغته القومية، وما زال الشعر الفارسي يعدّ من أهم عناصر النشاط الذهني للمثقفين الطاجيك وأرقاها، وذُيّل التقرير بمختارات لبعض شعراء الطاجيك المعاصرين.

والحق أن من يقارن بين التقرير المذكور، وبعض القصائد المختارة، التي ذُيّل بها، يشعر بحيرة بالغة وتناقض صارخ، فالتقرير يحاول أن يحمل قارئه على الاقتناع بأن اللغة القومية للطاجيك تشهد ازدهاراً ورواجاً، ولا تجد مقاومة أو ضغطاً يذكر من جانب اللغة الروسية، وهي اللغة الرسمية لسائر الجمهوريات السوفيتية، غير أن المرء حين يُنعم النظر في الأشعار المختارة التي ذُيّل بها التقرير يصادف قصيدة - من الشعر الحر - لأحد شعراء الطاجيك المعاصرين هو الأستاذ «عبيد رجب» جعل عنوانها: تاهست عالمي تاهست آدمي، أي تبقى الإنسانية ما بقي العالم.

إبانة خفية

والقصيدة تعرض لمحنة اللغة الفارسية في طاجيكستان وقت أن نُظمت، (أي سنة ١٩٦٧)، فهي تنطوي على إبانة خفية بأن هناك من يحرص على الحد من انتشار تلك اللغة وتقليص نفوذها، وإجبارها على عزلة كاملة عن الحياة العامة توطئة لاندثارها.

الشاعر يستخدم الأمثال ليجعل القارىء يقف على مشاعره وأحاسيسه.

والشاعر - بطبيعة الحال - لا يتعرض لتفصيلات تلك الممارسات والخطوات المحسوبة، التي ترمي في النهاية إلى القضاء على اللغة الأم للشعب، بل يصف شعوره بالضيق مما يرى وعجزه عن تصديق مقولة عدوّه: إن لغته الجميلة ماضية لا محالة نحو الاندثار والزوال.

يبدأ الشاعر قصيدته[٢] بقوله:

كلُّ لحظة يواجهني
عَدُوّي فيقولُ لي:
إنّ نهجك الفارسي سيتلاشى كالدُّخان
سوف يفنى ويتفرق
لا، لا أصدق
لا، لا أصدق
لا، لا أصدق

ويحدثنا الشاعر في قصيدته أن لديه من الأسباب المعنوية ما يحول بينه وبين التصديق؛ فهذا الجمال وتلك البلاغة التي تتميز بها ألفاظ لغته لا يمكن أن تتبدد، يقول:

يا له من لفظ
للطفه ورقّته
يتجلّى في الروح الحضور
وعلى وقع أنغامه
يرقص اللسان
ويستنير البصر
لفظ، بلون الزهور الحمراء على حوافّ الجبال
لفظ، كقبلة الحبيب تُنعش الروح
هو أعذب وألذّ
من قضم السُّكّر
هو أقوم وأعزّ
من نصائح الأمهات

(*) أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب - جامعة عين شمس.

له جمال البنفسج وشذى الدلال
يستمدّ صفاءه من النبع
وتدفّقه من ماء الغدير
يبعث النسمات تترى كلّ حين
كأزهار الربيع
ما أعجبه، هو كتغريد البلابل
وما أروعه، كأنّه الشلاّل
بفورانه وموجه
موجٌ، وحين يعلو الموج
بنغمه ولحنه
بشهده الصافي العذب
يذوب القلب
تغمره السعادة
ويملؤه الحُبُّ

فالشاعر لا يصدّق أن تفنى لغته الأمّ وتتبدد، لأنها تبدو عنده ظاهرة من ظواهر الطبيعة، تماثل أجمل ما في الطبيعة من مظاهر ومناظر وأقواها.

هي لغة جميلة لكنها قوية عاتية، تتسق مع الحياة والأشياء ولا تتنافر، فأنّى لها أن تموت.

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك لبيان مدى ارتباطه هو بلغته ومحبته لها، وشغفه بها، ويضرب الأمثال لكي يجعل القارىء يقف على مشاعره وأحاسيسه:

اللفظ الذي يحمل عقيدتي، ووجودي
لفظ، يجعلني أسجد في مواضع السجود
كعشق حبيبي
كتراب وطني
كدهشة الطفولة
كبيت للرّودكي[٣] الشاعر
هو عندي كذرّات نور البصر
هو عندي كبوارق قبسات السحر
أأحيا، ويذهبُ من عيني كالدّخان؟
أيتبدّد ويفنى؟
لا، لا أصدّق.

فالشاعر مرتبط بلغته ارتباط مصيرٍ، معتزٌّ بها، وبتراثها، وهو يملك بهذا التراث - شيئاً يُهديه إلى العالم، شيئاً لا يملكه إلاّ شاعر من أبناء تلك اللغة، يقول:

أنا أحمل اسمها
يعلو رأسي لأوج السما
بالشوّق أطيرُ
تبدّى لعيني رجالُ العلا
لأنّي نظمت بها منطقاً
ونظمي القويّ بها قد حلا

* * *

إنني بما أملك من نصائح سعدي
وبما أملك من أشعار حافظ[٤]
قد أهديت الدّنيا عالماً
هو المحبة والعشق

ولأن الشاعر ابن تلك اللغة التي أنشأت للإنسانية هذه المعاني الرائعة التي بها تحيا، فإنه يهدّىء من روع عدوّه. ويطمئنه إلى أنه لن يقابل هذه الإساءة والشماتة الظاهرة بالإساءة. يقول، وهو يختتم قصيدته:

لا تجزع أيها العدوّ
لا تتوقّع مني إساءة
فهذه المحبّة في قلب
من مَنَح العالمَ الحبّ
تبقى على الدوام
شابّة فتية،
ما بقيَ العالم
وما بقيت الإنسانية

عندما أصبحت اللغة نواة تتحقق من خلالها هوية الأمة

إن من يقرأ القصيدة يحسّ بمدى لهفة الشاعر على لغته، التي تتعرض لحملة ضارية تهدف إلى محوها من الوجود.

على أن التقرير الذي نشره الوفد الإيراني - بعد عودته من الندوة - لم يسعف بشيء من المعلومات في هذا الصدد، وإنما بدا وكأن أعضاءه كانوا مبهورين بما شهدوه من عناية ظاهرة باللغة الفارسية، تبذلها الأوساط الأدبية هناك، وتصوّر لهم أن اللغة القومية لطاجيكستان ما زالت بخير.

مطلب غريب

كان ذلك سنة ١٩٦٧. غير أن التطورات في تلك المنطقة ما لبثت أن تلاحقت وانتهت باستقلال الجمهوريات الإسلامية، ومن بينها جمهورية «طاجيكستان» سنة ١٩٨٩. وأذاعت الصحف ووكالات الأنباء أن مظاهرات هائلة قامت في العاصمة «دوشنبه» وعمّت المدن الطاجيكية كلها، تطالب بإلحاح بمطلب بدا غريباً في ذلك الوقت. وهو: أن تكون اللغةُ القوميةُ هي اللغةَ الرسمية للجمهورية حديثة الاستقلال. وعلى الأثر اجتمع مجلس الشعب الطاجيكي ووافق على جعل الفارسية الطاجيكية لغة رسمية للبلاد.

فما الذي حمل الطاجيك على القيام بتلك المظاهرات؟ ولماذا كان المطلبُ الأوّلُ للجماهير بعد الاستقلال مطلباً ثقافياً بالدرجة الأولى؟

هل مثّلت اللغة القومية في تلك اللحظات الحرجة من حياة الشعب قيمة ذاتية، وبدت كالنواة التي تتجمع فيها وتلتف حولها كل الصفات القومية الموروثة للأمة، وتتحقق بها هويّتها، ومن ثم لم يعد هناك من شيء أقوى من اللغة لكي يعبّر عن معنى القومية؟

وهل أدرك الشعب بفطرته هذا المعنى، فكان مطلبُه الأول بعد الاستقلال إعلاءَ شأن لغته، ورفع رايتها، لكي ترفرف على ربوع البلاد من جديد، وتتأهب لتزويد الفكر الإسلامي والإنساني بزاد جديد؟

وهل كانت تلك المظاهرات العارمة التي عمّت البلاد تنادي باللغة القومية لغة رسمية، تمثّل ردّ فعل لما كان يجري من محاولات في العهد المتقدّم لتقليص نفوذ تلك اللغة وتحقيرها ودفعها إلى زاوية النسيان؟

على أن هذا المطلب الشعبي الناجز، بدا متّسقاً تمام الاتساق مع المعاني التي حَفِلت بها القصيدة الرائعة، التي أنشدها الشاعر «عبيد

رجب» قبل ربع قـرن من الـزمـان، عن دوام اللغـة الفـارسيـة واستمـرارهـا، بـرغم كل الصعاب.

وكـان لا بد لنـا أن نلتمس توضيحـاً لكل هذه المسـائل، ورداً على كل هـذه التساؤلات، مما يقوله الطاجيك أنفسهم، فهم أقدر الناس على كشف الحقيقة في القضية برمّتها.

بيان وتوضيح

لقد جـاء هذا التوضيح من جـانب واحدٍ من كبـار المثقّفين الطـاجيك هـو «الـدكتـور تـورسـون زاد» عضـو أكـاديميـة العلـوم الطاجيكية، ورئيس شعبـة الدراسات الشرقية بها[٥]، حيث نشرت له مجلـة «آينده» الإيـرانية مقالاً بالفارسية عن المحنة التي عاشتها تلك اللغة في الحقبة السوفيتية.

وصف الـدكتـور «تـورسـون زاد» مـا حل بثقافـة بلاده من دمار، في أعقـاب الحركة التي سميت في عهد «ستالين» بالثورة المدنية، وهي التي بدأت بتوجيـه من الحزب البلشفي وتأييد من جانبه «فاجتـاحت كلّ الشواطىء العامرة للثقـافـات الـوطنيـة، كأنها أمـواج البحـر الكاسحة العارمة، وانخدع عامّة الناس وفتنوا بها».

«وقـد بدأت الثـورة المدنيـة الستالينيـة في كل من طاجيكستـان وأزبكستان، ببنـاء أفران ضخمة، أُحرقت فيها أعداد هائلة من الكتب الفـارسية والعـربية، ثم جـاء الدّوْرُ بعـد ذلك على المسـاجـد والمدارس والآثـار المعماريـة القديمة، ذات الطابع الدّيني، فخرّبوا أغلبها، لقد كان في «خُجَنْد» على سبيل المثال أربعمائة مسجـد، لم يبق منهـا بعـد الثـورة المدنيـة إلاّ مسجد واحد، وحُوّل ما بقي من ذلك كلّه إلى اصطبلات وشـوادر للخشب ومخازن للـوقود، كما حُوّل جانب منها إلى سجون.

«وفي النهـايـة شُهِـر سيفُ ستـالين فـوق رؤوس من كانـوا يُعرفون بـرجال الـدين، كان هـؤلاء جميعاً ممن يكتب بـالخطـوط القديمـة، وأهل علم بـالعلـوم الـديـنيـة والنقليـة، ولم يستطيعوا في ذلك الحين مغـادرة أوطانهم، بل لم تكن لـديهم رغبـة في ذلك، ومـن ثم قُتل منهـم مـن قُتـل، وسُجن مـن سُجـن، ونُفـي الباقـون إلى المناطق الباردة (سيبيريـا)، ويقال إنـه بعـد التمـرّد الـذي حـدث في «بُخـارى» وعقب الحرب الأهليـة التـي استمـرت في «طاجيكستـان» حتى بدايـة الثلاثينيـات من هـذا القـرن، هـاجـر أكثـر من مليـون من الطاجيك والأزبك إلى أفغـانستان وغيرها من البلاد الإسلامية فراراً من المذابح.

«وفي ختـام كـل هـذه المظـالم البربـريـة فُرضـت الأبجديـة الروسيـة المعروفـة بحروف «السيريليك» لكي تُكتب بها اللغـة الفارسيـة الطاجيكية، والتي ظلـت تكتب بالخط العربي طـوال ألف ومائتي عـام، الأمر الـذي أفضى إلى أن الطاجيـك انفصلوا عـــن التراث الأدبي والعلمـي والـــديـنـي لـلأجيـال السـابقـة، كما جرى حـرمانهم من التـواصل مع إخوة لهم في الديـن وفي اللغة، بسبب الأسوار الهائلـة التي أقيمت حاجزاً بينهم وبين جيرانهم.

ضاع سيف ستالين الذي شهره في وجوه العارفين بالقرآن.

ويشير الدكتور «تـورسون زاد» إلى أن كل هذا «الضغط السيـاسي والأيدولوجي قـد حدّ من اتسـاع دائرة النشـاط والنفـوذ الاجتماعي للغات الوطنيـة، كاللغة الفارسيـة الطاجيكية التي حملت ثقـافـة إيجابية عبر مئـات السنين، وتم الحد من قوتها التـاريخية والثقـافية بـدرجة ملحوظة».

ويؤكد الدكتور «تـورسون زاد» أن سياسة تعقّب اللغـات الـوطنيـة وتحقيرهـا لم تكن من وضع «ستالين» «وبريجينيـف» بسبب ما عُرف عنهما من «جهل مفرط وعمى ثقـافي. كما يزعم بعض المراقبين، بل إن هـذه السيـاسـة شأنها شأن كل الظـواهـر الاجتماعيـة والأيدلـوجيـة التي تبلـورت بعـد الثـورة البلشفيـة - تضرب بجذورها في تاريخ الإمبراطورية الروسية، فلم يكن لروسيـا القيصرية من هدف سـوى تنفيذ سياسـاتها التوسعيـة، من أجل تحويل المنطقة التي كانت تُعـرف حينذاك باسم «تـركستان» إلى مصـدر للمـواد الخام، وهـي سيـاسـة سوداويـة، ترمـي إلى إلحاق الضرر بالثقـافات الوطنيـة، وبعث عوامل للفساد فيها، تـوصلاً إلى القضاء على حس التحقيق الذاتي، ومعرفة الذات لدى الشعوب غير الروسية.

«وفي ظل الحقبـة السوفيتيـة استمر تنفيـذ هـذه السياسـة نفسهـا، ولكن بشكل لطيف، وثوب أكثـر حلاوة وروعـة، وبطريقـة تنطوي على الخداع والمخاتلة».

يقـول «تـورسون زاد» مبيناً مـدى التأثير الحاسم لتوجيهـات الحزب على الناس «وليس بوسعنـا أن نعثر في تاريخ الإنسانيـة الطويل، على دولـة تصبح السيـاسـة فيها عـامـلاً بهذا القدر من الأهميـة والتأثير كالـدولة الـروسية، فقد استـوعب هذا القدرُ كل فروع الحيـاة عند النـاس جميعـاً، وملك على النـاس قلـوبهم، وسيطـر على ميولهم، ووضع تحت فصِّ خـاتَمه سُماً أيديولوجيـاً، قَلّما يمكن العثور على علاج له».

ويبين «تورسون زاد» أن اللغـة كانت هي الهدف الأول، والغـرض الأخير، لـذلك كلـه، فلقـد كـانت سيـاسـة ستـالين وورثتـه - كخـروتشـوف - عبارة عن جـذب الشعـوب غير الـروسيـة، ثم صهـرهـا في بـوتقـة اللغـة الـروسيـة بأسرع مـا يمكن، ولم يكن الأمـر مقصوراً على الفارسية الطـاجيكية وحدها، بل امتـد إلى سـائر اللغـات الـوطنيـة للشعـوب السوفيتية، حتى تلك اللغـات السلافية، التي تنتمي إلى نفس السلالة اللغوية التي تنشعب منها الروسية، كالبيلوروسية والأكرانية.

ويفسر لنـا الدكتـور «تورسـون زاد» ذلك الشعـور الـذي خـامـرنـا من قبل بـأن ثمـة تنـاقضاً، بين الـدّعايـة الحزبية القـائلة بـدعم اللغات الوطنية، والـواقع العملي الذي تعيشه

تلك اللغات فيقول: إن الأجهزة الدعائية للحزب والدولة، ظلت سنوات طويلة تؤكّد أن لغات الشعوب السوفيتية تقف كلها على قدم المساواة، بغضّ النظر عن حجم كل شعب منها، غير أن تلك الأجهزة هيأت من الوجهة العملية ظروفاً اقتصادية واجتماعية وسياسية وأيديولوجية مساعدة، لبسط نفوذ لغة واحدة هي اللغة الروسية.

وبلغ الأمر في السبعينات أن يصبح تعليم اللغة الروسية إجبارياً في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية، وأخذ عدد الساعات المخصصة لتعليم اللغة الأمّ يتناقص سنة بعد أخرى، وكان التدريس في معظم الجامعات والكليات، يجري أصلاً باللغة الروسية. ولقد أفرط دعاة الشيوعية في «طاجيكستان» في ذلك الاتجاه، حين أصدروا أمراً بأن يكون التدريس في كلّيتي الطب والزراعة باللغة الروسية، علماً بأن معظم طلاب هاتين الكلّيتين من الرّيف الذي لا يتقن أهله الروسية إتقان أهل المدن.

وينبه الكاتب إلى ما لحق ببنية اللغة من تدمير متعمَّد، من جرّاء تعرضها لضربات فنية، أريد بها إخراجها من مسارها الطبيعي، وعرقلة تطورها الذاتي، وإدماجها - عاجلاً - باللغة الروسية، وذلك تحت ستار المبدأ القائل بتحقيق التقارب بين الأمم الاشتراكية.

«وكانت وسيلتهم في ذلك ملء معاجم اللغات الوطنية بالمصطلحات الروسية ومصطلحات الاشتراكية الدولية».

«نعم، كان من المتيقّن أن تدخل هذه المصطلحات في اللغة الوطنية بطريقة تتواءم مع طبيعة اللغة ومقاييسها الذاتية، لكنه أُملي من خارج تلك اللغات، لكي يعصف بالمعايير المتداولة - في بنيتها اللغوية.

«وينتج عن هذا الأمر بالضرورة تحقيق التباعد[٦] بين المتحدثين بهذه اللغة في الجمهوريات السوفيتية، والمتحدثين بها في غيرها من البلاد»، فالتطور القسري الذي شهدته اللغة الطاجيكية في معجمها واصطلاحاتها، من شأنه أن يجعلها لغة تباين كل المباينة فارسية كلّ من إيران وأفغانستان».

وربما أضفنا إلى ما قاله الدكتور «تورسون زاد» في هذا الصدد الحيلولة دون ظهور نزعات قومية وعرقية في تلك الجمهوريات، باعتبار أن اللغة هي الركيزة الأولى للقومية، سيّما وأن الفارسية تتمتع برصيد كبير في اكتناز الخصائص القومية لأهلها.

ولكن ماذا كانت نتيجة هذه المحاولات كلّها؟

يشير الكاتب الطاجيكي المرموق إلى أن التنفيذ العملي لهذه الخطة برُمّتها، قد مني بفشل ذريع، إذ أثبت أن اللغات الوطنية وقفت سدّاً منيعاً، ولم تلحق بها الهزيمة، على عكس ما كان متصوّراً.

تدمير متعمد لحق باللغة في البلاد لإحداث التقارب مع الاشتراكيين!

تحقّق النبوءة

وبعد الاستقلال نشأت في «طاجيكستان» نهضة ثقافية جديدة، حققت العديد من النجاحات، فأصبحت الفارسية الطاجيكية اللغة الرسمية للبلاد، وتعهّدت الحكومة بالدفاع عن الحقوق التاريخية لتلك اللغة، لا في نطاق الجمهورية وحدها، بل في الخارج كذلك.

وأُعلن رسمياً أن التدريس في المدارس الابتدائية سوف يجري بالأبجدية العربية، وتعهدت الحكومة بالمساعدة في طبع ونشر الصحف والمجلات والكتب بالحروف الفارسية[٧].

لقد تحقّقت نبوءة الشاعر بأن لغته الجميلة القوية لن تموت، وإنما ستبقى: ما بقي العالم، وما بقيت الإنسانية.

أجل، ما زالت الفارسية في «طاجيكستان» تعاني من جراحات الماضي القريب، لكنها قادرة على أن تستعيد مجدها من جديد، وأن تعمل على تزويد الفكر الإسلامي والإنساني بزاد نشط جديد لشعب طالما جرى إبعاده عن حلبة المشاركة في الحركة الثقافية للأمّة، وحرمانه من استخدامه أداته الحقيقية الأصيلة - وهي لغته القومية - في التعبير الصادق عن ذاته، والإفصاح البيّن عن ملكاته، والتواصل الإيجابي مع أمته، ومع العالم أجمع.

الهوامش

(١) نشر التقرير بمجلة «سخن» الإيرانية سنة ١٣٤٦هـ. ش./ ١٩٦٧م بعنوان: بزم سخن درتاجيكستان (محفل الشعر في طاجيكستان).

(٢) نشر هذه القصيدة وعلق عليها أيضاً الدكتور «غلام حسين يوسفي» في فصل من كتابه «جثمة روشن» ونشرت مجلة «آينده» الإيرانية هذا الفصل نفسه في عددها الصادر في صيف ١٩٩١م.

(٣) من أكبر شعراء الفرس، ولد بالقرب من سمرقند، وعاش في بلاد السامانيين، كان استاذاً بارعاً في فنون الشعر، وتوفي سنة ٣٢٩هـ/ ٩٣٩م.

(٤) سعدي وحافظ من كبار شعراء الفرس.

(٥) حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة موسكو. وشارك في العديد من المؤتمرات خارج بلاده. راجع مقال: ايرج افشار: ديدار باهمزبان تاجيكم (لقاء مع الطاجيكي الذي يتكلّم نفس لغتي) مجلة آينده، سال هجدهم. شماره ١-٦-١٣٧١هـ. ش(١٩٩٢م).

(٦) يشكو أحد الأدباء الإيرانيين، هو الدكتور مير أحمد طباطبائي من كثرة المصطلحات الأجنبية المستخدمة في الفارسية الطاجيكية، ويدعو إلى تحويلها إلى مصطلحات فارسية موحدة بين أهل اللغة. انظر مقالاً له بعنوان: تكاتي برامون فرهنگی إيران وتاجيكستان. (ملاحظات حول الرابطة الثقافية بين إيران وطاجيكستان) مجلة ادبستان الإيرانية عدد ديسمبر ١٩٩٢م.

(٧) انظر مقال الدكتور طورسون زاد أيضاً.

ذكرى الصحراء

شعر: مباركة بنت البراء*
موريتانيا

زرتُ الصيف الماضي قرية صحراوية تُسمّى «مرزك»، وعاودتني فيها ذكريات الطفولة، وأحلام قريتي الصغيرة القابعة بين الكثبان فكتبت هذه القصيدة أعبر فيها عن شعوري وأزمة الكتابة في أيامنا وجمال الصحراء.

ذكرى الصحراء

محاصَراً كنتَ يا شِعري ومستَلبَا
وهَاجِساً طالما غَنَّى وما اغْتَرَبا
تجوبُ أرضَك بَحْثاً عَنْك هَلْ وَطَنٌ
إلاَّ وقفتَ بِه تستلْهِمُ الأدَبَا؟
وكيفَ تستنزلُ الإلْهَامَ في زَمَنٍ
لا أصلَ للشعِر، لا تاريخَ. لا نسبَا!
لم يبقَ مِنِّي ومن شعري سِوَى قَلَمٍ
يَنْأى، قُصَاصَاتِ حبرٍ مُزِّقَتْ إرَبَا
شرارةُ الحرفِ مِنْ صَوْتِي قَدِ انْطَفَأتْ
ومن خيالِيَ ولَّى الشعرُ أوْ نَضَبَا
لو كان لي في زمانِ الجَدْبِ مكتسبٌ
لاخترتُ لِي الشِّعْرَ تَارِيخاً ومُكْتَسَبَا
إني التي جئتُ من شنقيطَ أحملُ في
لِحَافِيَ النخلَ والصَّحراءَ والعَرَبَا

(*) شاعرة موريتانية لها ديوان «ترانيم لوطن واحد» ودراسة حول «الشعر الموريتاني الحديث بين التأسيس والتأصيل، وهي رئيس نادي الإبداع الثقافي في موريتانيا.

يـا «مُـرْزكاً» بَلَـدَ النَّخْلِ الأصيل ويـا
مهـداً تـلاقَتْ بِـهِ أسْبَـابُنَـا حِقَبـاً
يـــا معبَراً ظلَّ للغـــادين منتجعـــاً
ومـــوطنـــاً آلـفَ الأهْلِينَ والْغُـرَبَـا
منكِ استقيتُ حُـروُفي بَعْدَ أنْ نَضَبتْ
وبعدمـا الشكلُ منهـا غامَ واضْطَـرَبا
عـــرفتُ فيك رِمَـــالي، ذوبَ أزمنتي
محارَ شَطِّي وطعمَ البُسْرِ قـد عَـذُبَـا
عـــرفتُ أحـــلامِيَ الحيْرَى مُجَنِّحـة
ومنبعـاً مـن دَمِ الصحـراءِ مَـا نَضَبـا
ضـوعَ البخورِ مـع الأسحارِ مغتسـلاً
بنسمةِ الفجـر. قُرْص الشمـس ملتهِبا
يـا «مـرزكا» بلـد النخلِ الأصيلِ ويـا
مهـداً تـلاقت بـه أسبـابُنـا حقبـا
إنّي وصلتُ هُنَـا رغم الـذي افتعلـوا
فـلا أُبَـالي أضَـاقَ الْكَـوْنُ أمْ رَحُبَـا
أنتِ امتدادي ونبضٌ من صميم دَمِي،
شِعْرِي الـذي ضَاعَ مِنِّي هَا هُنَـا كُتِبَا!
تَحَدَّثي لبَني الصَّحْـــرَاءِ عَنْ قـدَرِي
وكيفَ أرجعتِ لِي الشِّعْـرَ الذي هَـرَبَا

الغيث

شعر: محمد علي الرباوي *

«إلى ولدي الذي رزقته بعد عشرين عاماً»

اصْرُخْ ..
تكبرُ أشجارُ الفَرْحةِ في قلبي
حين صُراخُكَ يَمْتَدُّ
يُغَطّي أرْكانَ الخَيْمَةِ
(كَمْ كانت هذي الخَيْمَةُ
ملأى بِتَراتيلِ الأصداء).
اصْرُخْ..
حَتّى تَسْمَعَ غِزْلانُ البيداء صُراخَك ..
اصْرُخْ ..
إنّ حياتي تَزْهَرُ في وديان صُراخِك
اصْرُخْ ..
كَمْ كنتُ حبيبي أحْلُمُ أن أسْمَعَ صَوْتَكَ
يَأتيني من جَوْفِ المنحور
اصْرُخْ ..
اصْرُخ ..
أكْرَمَني مَلِكي وَحَبيبي ..
أكْرَمَني
إذْ تَوّجَني
بِخَريرِ صُراخِك
تَوَّجَني

وأنا نَهْرٌ بَدَأ الظَّمأُ القاتِلُ
يَغْزو شَفَتَيْهِ العارِيَتَيْنِ .
كَريمٌ مَوْلايَ ..
اصْرُخ حَتّى تَعْلَمَ كُلُّ الأطيارِ
وكلُّ الأشجارِ
وكلُّ الأحْجارِ
بأن لِمَوْلايَ يَداً
لا تَنسى أحداً.
اصْرُخْ .. لا تَخْشَ حَبيبي أحداً.
لِماذا إذْ تَصْرُخُ يَأْتيكَ الغيثُ
وإذ أصْرُخُ يأتيني السَّوْطُ
فَأعِرْني صَوْتَكَ يا ولدي
أعِرْني صَوْتَكَ حَتّى تَتَفَجَّرَ أغوالُ رعودي الحمراءِ
أعِرْني صَوْتَكَ حتى تَهْتَزَّ الدنيا مِنْ هَوْلِ القَصْف
أو تنهدَّ حصونٌ من هَوْلِ الخَوْفِ
أعِرْني صَوْتَكَ يا وَلَدي
حَتّى أغْسِلَ مرآتي
وَمَرايا بَلَدي

(*) شاعر وناقد مغربي، صدرت له عدة دواوين، منها: الكهف والظل، الأعشاب البرية، هل تتكلم لغة فلسطين؟ وغيرها، وهو أستاذ للشعر العربي المعاصر بالمغرب الأقصى - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول بالمغرب.